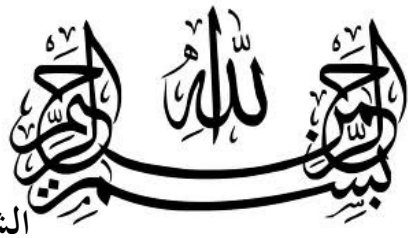

الأحد 19/1/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

الضيافة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إذا نزلت بالعبد نازلة، أو حلت به شِدَّةٌ، أو أحاطت به مصيبة وبَلِيَّة فينبغي عليه أن يقرع باب سيده رب العالمين جل جلاله.

- هذا وقد جعل الله لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فبعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، ومن أدب العبد مع ربه أن يطرق ويلزم أبواب الفرج، ثم يعمل وفقاً لما أراد الله، ثم ربك يخلق ما يشاء ويختار لعباده كيف شاء وبما شاء وأين شاء.

- اعلموا أيها الإخوة أنه لا يملك أمر الفرج ولا يأتي به ولا يفتح أبوابه إلا الله فبتوجهنا إليه وتجريد قلوبنا مما سواه وتحقيق توحيدنا له في قلوبنا بالإضافة إلى أدبنا بسلوك هذه الأبواب نسأله ربنا عز وجل أن ينزل علينا الفرج.
- علمتنا هذه الأزمة وأرتنا أن لا إله إلا الله، ولا فاعل في هذا الكون إلا الله، وقد كان يظن البعض أن بماله يستطيع فعل أي شيء فلما جاءت هذه الأزمة ما استطاع حلها بالمال.

جرت على ألسنة البعض أن فلاناً له مكانة مرموقة وكلمة مسموعة يستطيع أن يفعل بذلك ما أراد، ولم ينفعه ما يملك في حل ما نحن فيه.

يظن بعضهم أن فلاناً ما أن يرفع يده إلى السماء داعياً حتى يستجيب الله له وما وقع ظنهم.

أرتنا الأزمة وجعلتنا تَلْمَسُ أَنْ لا فعَّال ولا آمر ولا ناهي ولا فارج ولا خافض ولا رافع ولا قابض ولا باسط إلا الله جل جلاله.

- يوقن المسلمون أن الرزق من عند الله لكنهم ينزلون إلى السوق أدباً مع الله؛ لأنه ليس من الأدب أن نجلس في بيوتنا ثم نسأله الرزق.

نوقن أن الشافي هو الله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80] لكننا أدباً مع الله نتناول العلاج.

نحن موقنون أن الفارج لهذه الأزمة هو الله لكننا أدباً مع الله نلتزم هذه الأبواب.

بابنا اليوم من أبواب الفرج هو **الضيافة**.

الضيافة أن يَضِيف المِلِيء منا المليء، ويضيف الواجد منا الفاقد، وأن ينزل من هو محتاج ضيفاً على من عنده كفاية.

الضيافة نوع من أنواع التعاون والتكافل بين المسلمين، يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24].

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: (**كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُكْنَى: أَبَا الضِّيفَانِ، وَكَانَ لِقَصْرِهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكَيْ لَا يَفُوتَهُ أَحَدٌ**) [البيهقي في الشعب].

يعني بقوله ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: (**أن إبراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما**) [تفسير الطبري].

جاء الإسلام والعرب تحمل شيئاً من الأخلاق العالية والعادات الجيدة بالإضافة إلى شيء من الأعمال الرديئة والأخلاق السيئة، فثبَّت الإسلام وزكَّى وحث على الزيادة من كل خلق عال كريم نبيل وحذر وقبح كل خلق لئيم سيئ، ومن جملة الأخلاق الجيدة التي كانت عند العرب إكرام الضيف وقد جاء الإسلام ليعزز هذه الخصلة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» [البخاري ومسلم].

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ**» [الإمام أحمد والبيهقي في الشعب].

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ وَأَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**الضَّيْفُ يَأْتِيْ بِرِزْقِهِ وَيَرْتَحِلُ بِذُنُوْبِ الْقَوْمِ**» [الديلمي].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِطْعَامُ الْمُسْلِمِ السَّغْبَانِ**» [الحاكم].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَزَالُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً**» [الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب].

عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لَا يُنْزِلُونَ الضَّيْفَ**» [البيهقي في الشعب].

أحب في هذا الدرس أن أقرأ عليكم بعضاً مما كان عليه العرب قبل الإسلام أو بعده؛ تشجيعاً لأحدنا إذا نزل به ضيف أن يكرمه ما استطاع لذلك سبيلاً طالبين بذلك الفرج من الله تعالى.

قِيلَ لِلنَّوَارِ امْرَأَةِ حَاتِمٍ الطائي حَدِّثِينَا عَنْ حَاتِمٍ قَالَتْ: **كُلُّ أَمْرِهِ كَانَ عَجَبًا أَصَابَتْنَا سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ فَاقْشَعَرَّتْ لَهَا الْأَرْضُ وَاغْبَرَّتْ لَهَا السَّمَاءُ وَضَنَّتِ المراضع على أولادها وراحت الإبل حدباً حدابير** (جمع حدبار وحدبير: الناقة الضامر) **ما تَبِضُّ** (تجود) **بقطرة، وحلَقت الْمَالُ** (حلقت المال: أهلكته وأفنته).

وَإِنَّا لَفِي لَيْلَةٍ صِنَّبْرٍ (شديدة البرد) **بَعِيدَةِ مَا بين الطرفين إذ تضاغى صبيتنا مِنَ الْجُوعِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِيٌّ وَسَفَّانَةُ فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَدْنَا شَيْئًا نُعَلِّلُهُمْ بِهِ فَقَامَ إِلَى أحد الصبيان فَحَمَلَهُ وَقُمْتُ إِلَى الصَّبِيَّةِ فَعَلَّلْتُهَا فَوَاللَّهِ إِنْ سَكَتَا إِلَّا بَعْدَ هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ عُدْنَا إِلَى الصَّبِيِّ الْآخَرِ فَعَلَّلْنَاهُ حَتَّى سَكَتَ وَمَا كَادَ ثُمَّ افْتَرَشْنَا قَطِيفَةً لَنَا شَامِيَّةً ذَاتَ خَمْلٍ فَأَضْجَعْنَا الصِّبْيَانَ عَلَيْهَا وَنِمْتُ أَنَا وَهُوَ فِي حُجْرَةٍ وَالصِّبْيَانُ بَيْنَنَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ يُعَلِّلُنِي لِأَنَامَ وَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَنَاوَمْتُ فَقَالَ مَالَكِ أَنِمْتِ فَسَكَتُّ فَقَالَ: مَا أُرَاهَا إِلَّا قَدْ نَامَتْ وَمَا بِيَ نَوْمٌ.**

فَلَمَّا ادْلَهَمَّ اللَّيْلُ وَتَهَوَّرَتِ النُّجُومُ وَهَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَسَكَّنَتِ الرجل إذ جَانِبُ الْبَيْتِ قَدْ رُفِعَ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ فولى حتى قلت إذاً قَدْ أَسْحَرْنَا أَوْ كِدْنَا عَادَ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ:

جَارَتُكَ فُلَانَةُ يَا أَبَا عَدِيٍّ مَا وَجَدْتُ عَلَى أَحَدٍ مُعَوَّلًا غَيْرَكَ أَتَيْتُكَ من عند أصبية يتعاوون عواء الذئاب مِنَ الْجُوعِ قَالَ أَعَجِلِيهِمْ عَلَيَّ.

قَالَتْ النَّوَارُ: فوثبت، فقلت: ماذا صنعتُ أضطجع وَاللَّهِ لَقَدْ تَضَاغَى أَصَبِيَتُكَ فَمَا وَجَدْتَ مَا تُعَلِّلُهُمْ فَكَيْفَ بِهَذِهِ وَبِوَلَدِهَا فَقَالَ اسْكُتِي فَوَاللَّهِ لأشبعنك إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَتْ: فَأَقْبَلَتْ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نهامة حَوْلَهَا رِئَالُهَا فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ بِحَرْبَتِهِ فِي لِبَّتِهِ ثُمَّ قَدَحَ زِنْدَهُ وَأَوْرَى نَارَهُ ثُمَّ جَاءَ بِمُدْيَةٍ فَكَشَطَ عَنْ جِلْدِهِ ثُمَّ دَفَعَ الْمُدْيَةَ إِلَى الْمَرْأَةِ ثُمَّ قَالَ: دُونَكِ، ثم قال: ابعثي صبيانك فبعثتهم ثم قال سوءة أَتَأْكُلُونَ شَيْئًا دُونَ أَهْلِ الصِّرْمِ فَجَعَلَ يُطَوِّفُ فِيهِمْ حَتَّى هَبُّوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَالْتَفَعَ فِي ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا وَاللَّهِ مَا ذَاقَ مِزْعَةً وَإِنَّهُ لِأَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ إِلَّا عَظْمٌ وحافر. فأنشأ حاتم يقول:

مهلاً نوَّار أقلّي اللّوم والعذلا	**ولا تقولي لشيء فات ما فعلا**
ولا تقولي لمالٍ كنتُ مهلكَه	**مهلاً وإن كنتُ أعطي الإنس والخَبَلا**
يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً	**إنّ الجواد يرى في ماله سُبُلاً.**

الخبل: الجن [البداية والنهاية لابن كثير، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، وقرى الضيف لابن أبي الدنيا].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَمَّا أُتِيَ بِسَبَايَا طَيِّئٍ وَقِفَتْ جَارِيَةٌ حَمْرَاءُ لَعْسَاءُ ذَلْفَاءُ عَيْطَاءُ، شَمَّاءُ الْأَنْفِ، مُعْتَدِلَةُ الْقَامَةِ وَالْهَامَةِ، دَرْمَاءُ الْعَيْنِ، خَدِلَةُ السَّاقَيْنِ، لَفَّاءُ الْفَخِذَيْنِ، خَمِيصَةُ الْخَصْرَيْنِ، ضَامِرَةُ الْكَشْحَيْنِ، مَصْقُولَةُ الْمَتْنَيْنِ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا أُعْجَبْتُ بِهَا وَقُلْتُ: لَأَطْلُبَنَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلَهَا فِي فَيْئِي، فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ أُنْسِيتُ جَمَالَهَا لِمَا رَأَيْتُ مِنَ فَصَاحَتِهَا، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنَّا وَلَا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ فَإِنِّي ابْنَةُ سَيِّدِ قَوْمِي، وَإِنَّ أَبِي كَانَ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَفُكُّ الْعَانِيَ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِيَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُفْشِي السَّلَامَ، وَلَا يَرُدُّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ، أَنَا ابْنَةُ حَاتِمٍ طَيِّئٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا جَارِيَةُ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ، خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَاللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»، فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ» [دلائل النبوة للبيهقي].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ» [مسلم].

روي أن عُبيد الله بن العباس رضي الله عنهما خرج مرة من المدينة يريد معاوية في الشام فأصابته سماء فنظر إلى نويرة عن يمينه فقال لغلامه: مِلْ بنا إليها.

فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رَثَّة فقال له: أَنِخْ انزل حييت ودخل إلى منزله فقال لامرأته: هيئي شاتك أقضي بها ذمام هذا الرجل فقد توسمت فيه الخير فإن يكن من مضر فهو من بني عبد المطلب وإن يكن من اليمن فهو من بني آكل المرار.

فقالت له: قد عرفت حال صبيتي وأن معيشهم منها وأخاف الموت عليهم إن فقدوها.

فقال: موتهم أحب إلي من اللؤم، ثم قبض على الشاة فأخذ الشفرة وأنشد:

قريبتي لا توقظي بنيَّه إن يوقظوا ينسحبوا عليه

ثم ذبحها وكشط جلدها وقطعها أرباعاً وقذفها في القدر حتى إذا استوت اثرد في جفنة فعشاهم ثم غدَّاهم فأراد عبيد الله الرحيل: فقال لغلامه: ارم للشيخ ما معك من نفقة.

فقال: ذبح لك الشاة فكافأته بمثل عشرة أمثالها وهو لا يعرفك فقال: ويحك إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة فَجَادَ لنا بها وإن كان لا يعرفنا فأنا أعرف نفسي ارم بها إليه. فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار.

فارتحل عُبيد الله فأتى معاوية فقضى حاجته ثم أقبل راجعا إلى المدينة حتى إذا قَرُبَ من ذلك الشيخ قال لغلامه: مِلْ بنا إليه نَنظُرُه في أي حالة هو فانتهيا إليه فإذا برجل سري عنده دخان عال ورماد كثير وإبل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ: انزل بالرحب والسعة. وقال: أتعرفني فقال: لا والله فمن أنت فقال: أنا نزيلك ليلة كذا وكذا.

فقام إليه فقبل رأسه ويديه ورجليه وقال: قد قلت أبياتاً أتسمعها مني؟ فقال: هات. فأنشد:

توسمته لما رَأَيْت مهابـــــــــــةً	**عَلَيْهِ وَقلت الْمَرْء من آل هَاشم**
فَقُمْت إِلَى عـــنزٍ بَقِيَّـــة أَعْنُـــزٍ	**لأذبحهـا فعـل امـرىءٍ غـير نادم**
فعوضـــني عَنْهَـــا غنـــاي وَلم تكن	**تَسَـاوِي عـنزي غـير خمسِ دَرَاهِم**
فَقلت لأهلي فِي الْخَلَاء وصـــبيتي	**أحقـــاً أرى أم تِلْـــكَ أَحْلَام نَائِم**
فَقَـالُوا جَمِيعًـا لَا بـل الْحق هَـذِه	**تخب بهَا الركْبَـان وسـط المواسـم**
بِخمْس مـئينٍ من دَنَانِير عوضـت	**من العنز مَا جَادَتْ بِهِ كف حَاتِم**

فضحك عبيد الله وقال: أعطيتنا أكثر مما أخذت منا يا غلام أعطه مثلها.

فبلغت فعلته معاوية فقال: لله در عبيدُ الله من أي بيضة خرج وفي أي عش درج وهي لَعَمْري من فعلاته [خزانة الأدب ولب لباب، ولسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي].

(ذهب **الحنفية والمالكية والشافعية وفي رواية عن أحمد:** إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام،.

والرواية الأخرى عن أحمد -وهي المذهب-: أنها واجبة، ومدتها يوم ليلة، والكمال ثلاثة أيام. وبهذا يقول الليث بن سعد.

ويرى المالكية: وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك) [انظر الموسوعة الفقهية الكويتية].

وفي هذا المجال قصص كثيرة فما استطعنا من ضيافة فلنفعل؛ لأنها باب من أبواب الفرج نتقرب بها إلى الله ويزداد قدرنا وشأننا.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.